الفصل الثانى

مظاهر الفساد الإداري في مصر الفرعونية

obeikandl.com

مما لا شك فيه أن التعريفات التي تناولت مفهوم الفساد عديدة ومتنوعة، وتختلف من باحث إلى آخر وربما يرجع هذا التعدد إلى أن الفساد مفهوم مركب وينطوي على أكثر من معنى، وفي هذا الإطار يمكن تحديد أهم الاتجاهات الأساسية في تعريف الفساد على النحو التالي:

الاتجاه الأول في تعريف الفساد الإداري هو إساءة الوظيفة العامة من أجل تحقيق مكاسب خاصة، ويأتي في هذا الإطار تعريف "كوبر" بأن الفساد الإداري هو سوء استخدام الوظيفة العامة أو السلطة للحصول على مكاسب شخصية أو منفعة ذاتية بطريقة غير شرعية.

الاتجاه الثانى الفساد هو انتهاك المعايير الرسمية والخروج على المصلحة العامة ويركز هذا الاتجاه على أن السلوك المنطوي على الفساد هو ذلك السلوك الذي ينتهك القواعد القانونية الرسمية التي يفرضها النظام السياسي القائم على مواطنيه.

والاتجاه الثالث هو أن الفساد بوصفه مجموعة من الاختلالات الكامنة في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع، وعلى هذا الأساس فلكى يتم الكشف عن أسباب الفساد ومظاهره داخل المجتمع يجب تحديدها داخل البناء الاجتماعى الشامل.

وبعد عرض الاتجاهات الثلاثة السابقة في تعريف الفساد بشكل عام يمكن تحديد مفهوم الفساد الإدارى بوصفه استغلال رجال الإدارة والعاملين في كافة أجهزة الدولة ومؤسساتها للسلطات الرسمية المخولة لهم والانحراف بها عن المصالح العامة تحقيقاً لمصالح ذاتية وشخصية من أجل الحصول على مزيد من المكاسب بطريقة غير مشروعة.

حيث إن الإدارة المصرية كانت في بداية نشأتها قائمة على أساس مركزية القرار، وعلى الرغم من ذلك فهناك أسباب أدت إلى ظهور الفساد الإداري مثل:

أولاً: مظاهر الفساد الإداري في الجانب السياسي:

- **ضعف هيبة الملوك إدارياً في مقابل ازدياد نفوذ كهنة آمون:**

في إعطاء الملوك الملوك للهبات من الأراضي الملكية إلى معابد الشمس وكبار كهنها والسماح لكبار أفرادها أن يتقلدوا أكبر مناصب الدولة بعد أن كان قاصراً على كبار الأمراء، وعدم استخدام الملوك حقهم في نقل حكام الأقاليم وترخيصهم في السماح لأبنائهم بأن يعينوا في مراكز آبائهم، حيث تقرب الملوك من رجالهم شيئاً فشيئاً فمثلاً خضوع الفرعون "نفر إير كارع" (من ملوك الأسرة الخامسة) واعتذاره لاثنين من كبار رجاله أحدهما هو الكاهن الأكبر "رع-ور" الذى اعتذر له الملك بكلزة بعصاه دون قصد، وبالغ في هذا الاعتذار إلى درجة أنه أمر بنقش ذلك على جدران مقبرة (رع-ور)، والثاني وهو كبير مهندسيه "واش- بتاح"، حيث أيضاً في مقابر حكام إقليم التمساح (كروكوديلوبوليس) نجد أن حاكم إقليم ويدعى "إنتى" وكان قائداً لجيوش أحد ملوك الأسرة الخامسة ربما "ساحورع" قد وهبه الملك حكم هذا الإقليم إثر عودته منتصراً من حملة على جنوب فلسطين، ونقش هذا الحاكم على جدران مقبرته عبارات الزهو والافتخار بمكانته لدى الملك، وهو أمر لم تعهده قبل هذه الأسرة؛ إذ يذكر من بين ما جاء على جدران مقبرته: "إننى أنا المحترم لدى الملك، المبجل لدى الإله الأكبر، أما الألقاب التى حملها وتوارثها أبناءه من بعده في حكم الإقليم فهي: "المعروف لدى الملك، موجه الأض، حاكم القصر، ومدير الإرساليات الملكية.

وترتب على ذلك أخذ هؤلاء الحكام يتخذوا لأنفسهم سلطات واسعة ويحرصون في الوقت نفسه على تقوية علاقاتهم بمقاطعاتهم معتمدين في حكم الأقاليم على حق الوراثة وهكذا تكونت طبقة إقطاعية من حكام الأقاليم الذين استقلوا بمقاطعاتهم، وزوال سلطان الملوك من حكم الأقاليم وخلخلة الجهاز الإداري[١].

كما ازداد نفوذ كهنة آمون أيضاً فمثلاً في عصر الملك رمسيس التاسع والعاشر (من ملوك الأسرة العشرين) حيث ضعفت هيبة الملوك إدارياً في مقابل قوة الكهنة والتي كانت تفوق الحد، فعندما كان الملك رمسيس العاشر صغيراً ووريثاً للعرش كان تحت وصاية آمون وترتب على ذلك ازدياد نفوذ كبير الكهنة والذي كان يسمى بأمنحتب بأنه في العام العاشر من حكم الملك رمسيس العاشر أرغمه على التخلي عن جزء كبير من الأوقاف التي كانت تخص التاج لمصلحة كهنة آمون وهذا دليل على أن الملك أصبح مجرد أداة بسيطة في أيدى كبار الكهنة.

كما ازداد نفوذ كهنة آمون بفضل نشاط كبير الكهنة "حريحور" (من ملوك الأسرة الواحد والعشرين)، وكان ذلك في عصر الملك "رمسيس الحادى عشر" (آخر ملوك الأسرة العشرين) والدليل على ذلك أن أحدهم صور نفسه في إحدى المناسبات بحجم كبير مساوٍ لحجم الملك ويعتبر هذا أول تصوير من نوعه في التاريخ المصري، إذ لم يسبق لأحد أن تجرأ وصور نفسه بحجم مساو لحجم الملك[٢]. (شكل ٧)

---

(1)Kanawati, N., Governmental Reforms in Old Kingdom Egypt, London, 1980, pp. 1- 21.

(٢)رمضان عبده على السيد، تاريخ مصر القديمة منذ بداية الأسرة الخامسة حتى دخول الإسكندر الأكبر لمصر عام ٣٣٢ ق.م، نحو وعى حضارى معاصر مشروع المائة كتاب ٢١، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢١١-٢١٢؛ =

obeikandi.com

حيث إن الحكومة كانت تأخذ من الفقراء لتملأ خزائن الأغنياء وتسعد المترفين على حساب المعوزين، وعدم وصول كلمة الحق إلى ساحة الملوك إلخ.

وعدم وصول كلمة الحق إلى ساحة الملوك والأمراء، كما في بردية الفلاح الفصيح وهى تصور لنا الحالة الاجتماعية في تلك الفترة (العصر الإهناسي في نهاية الأسرة العاشرة) وتصور لنا كيف يستغل بعض الموظفين وظائفهم في ظلم الفقراء من الناس، بينما يعني بتقبل شكوى المظلومين ورد حقوقهم إليهم، وأن الوظيفة الكبيرة ذات المرتب الضخم ليس في كل الأحوال سياجاً تحمى صاحبها من أن يظلم الناس، كما أنها ليست دائماً درعاً يحمى الفقراء من اضطهاد الحاكمين واضطراب الأمن، وانتشار السرقات، وتفشي الغش والخداع وتعتبر "تحذيرات إيبو–ور" وهى قطعة أدبية تصف لنا أول انقلاب في آخر عهد الدولة القديمة، وقد وصف الحكيم "إيبو–ور" البؤس العام الذي حل بالبلاد من سرقة وقتل وتخريب، وقحط، وتشريد الموظفين وترخي الإدارة، وغزو الأجانب البلاد، والقضاء على التجارة الخارجية وانصراف حكام الأقاليم إلى مصالحهم الذاتية[1].

– =فرانسوا دوما، حضارة مصر الفرعونية، ترجمة ماهر جويجاتى، المشروع القومى للترجمة، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٢٣.

([1]) محمد بيومي مهران، مصر منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، ج٢، مصر والشرق الأدنى القديم (٢)، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٤٤٢، ٤٤٨.

openkandil.com

ظهور نوع من الامتيازات وهي تسمى "بالمراسيم الملكية":

كما في عصر الأسرة الثامنة المنفية وهذه المراسيم قد أثمرت العلاقة بين حكام قفط وملوك الأسرة الثامنة المنفية وكان السبب هو ضعف ملوك الأسرة الثامنة فمنحوها للحكام الأقوياء ليضمنوا ولائهم وترتب على ذلك أن آلت السلطة إلى حكام الأقاليم والدليل على ذلك وجود مراسيم تؤول إلى حاكمى قفط "شماى" وولده "إيدى"[١].

توالى الملوك بالحكم في سرعة خاطفة:

مما يؤكد على خلعهم بمجرد توليهم العرش، وكان استمرار الأعمال الحكومية له صلة بشخص الوزير الذى كان يبقى في منصبه مدة أطول من المدة التي يجلس فيها الملك على العرش فيحتفظ بالإشراف على الإدارة في عهود أكثر من ملك ونستدل على ذلك من تولى رجل يدعى "إنخو" منصب الوزير من عهد الملك المسمى "خنجر" إلى عهد الملك "سوبك حتب الثالث" (من ملوك الأسرة الثالثة عشرة) فطال عهده لثلاثة ملوك[٢].

([١])حسن محمد محي الدين السعدى، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية (دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهاية الدولة الوسطى)، دراسة تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم (١)، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ٢٧٠- ٢٧٧؛

- عريان لبيب حنا، الشخصية المصرية في مصر القديمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٦٢.

([٢])أحمد أرحيم هبو، تاريخ وادى النيل (من عصور ما قبل التاريخ إلى عام ٣٣٢ ق.م)، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٨٠- ١٨١؛

- SäveSöderbergh, T. S., The Hyksos Rule in Egypt, in: JEA, vol. 37, London, 1957, p. 55;
- Davies, S., An A to Z of Ancient Egypt, London, 2006, p. 117.

opeikanal.com

وكذلك كبار رجال الدولة كانوا يتنافسون ويتشاحنون فيما بينهم ومنهم من كان يبيع وظيفته كما تباع السلع والتى تدل عليه اللوحة التي تم العثور عليها في بهو الأعمدة بالكرنك وذكر فيها الملك "سواج- إن-رع" (من ملوك الأسرة الثالثة عشرة) وعليها صورة عقد تنازل فيه حاكم إقليم الكاب عن منصبه لأحد أقاربه مقابل ٦٠ دبن، وكما يرى د/ محمد بيومى مهران أنهم لم يكونوا ملوكاً بالمعنى الحقيقي، فهم مجرد دمى يوضعون فوق العرش في حين السلطات الحقيقية كانت في يد الوزراء ويقبضون عليها بقوة، وهناك ما يشير إلى ملكين كانا ينويان إقامة حكم مشترك بينهما، وقد تم العثور على جعل "جعران" مشترك بين الملك "خع نفر رع" و"سبك حتب" (من ملوك الأسرة الثالثة عشرة) فهناك احتمالية لوجود حكم مشترك بينهما[١].

كثرة المنصرف من الأموال والهبات على المعابد:

ودل على ذلك ما ذكرته بردية "هاريس" وهي تتحدث أن في عصر الملك رمسيس الثالث (ثاني ملوك الأسرة العشرين) قد خصص لمعبد آمون رع بطيبة وحده حوالى ١٠% من جملة الأراضى الزراعية، وحوالى ٨٦ ألف من الأرقاء (الأجانب) يعملون في تلك الأراضي، بالإضافة إلى ٤٢١,١٣٦٢ رأس تقريباً من الماشية، كما كان له أيضاً ما يوازى ٦٢ دبناً تقريباً (ما يعادل كيلوجرام) من الذهب ونحو ١١٨٩ دبناً من الفضة (ما يعادل كيلوجرام) و ٢٨٥٥ دبناً من النحاس (ما يعادل كيلوجرام) وترتب على ذلك إفلاس

---

(١)محمد بيومهي مهران، مصر منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، ج ٢، مصر والشرق الأدنى القديم، (٢)، الإسكندرية ١٩٩٣، ص ٤٤٢، ٤٤٨.

obeikandi.com

الخزانة الملكية، وثراء الكهنة على حساب الملوك، وتركت خزينة البلاد خاوية، ولم تكن الدولة قادرة على إثراء موظفيها فضعف الجهاز الإدارى[١]. (شكل ٨)

الثنائية في الحكم:

كما في عصر الأسرة الثامنة حيث إن الفرصة كانت سانحة لحكام إهناسيا لبسط نفوذهم على ما جاورهم من المقاطعات آملين إسقاط ملوك الأسرة الثامنة وتمكنوا من أن يحكموا النصف الجنوبى من مصر في نفس الوقت الذي كان بعض ملوك الأسرة الثامنة المنفية يتقلدون مهام الحكم في منف، مما أدى إلى تفكك شطرى مصر الشمال والجنوبى، واضطراب الجهاز الإدارى في مصر القديمة[٢].

وانقسام البلاد إلى دويلات صغيرة في الوقت الذي حكمت فيه الأسرة الرابعة عشرة في منطقة سخا (غرب الدلتا) وكانت طلائع الهكسوس قد بدأت تستقر في شرق الدلتا، بينما كانت طيبة وبعض أجزاء الصعيد تحت نفوذ حكام الأقاليم فأدى ذلك إلى مزيد من الفوضى، والاضطراب الإدارى[٣].

وفي عصر الرعامسة بوفاة رعمسيس الخامس وتولى رعمسيس السادس عرش مصر حوالى عام ١١٤٣ ق.م كانت الأمور تزداد سوءاً بوجود صراع على العرش، وقد اتخذ شكلاً محدداً بوجود فرعين متطلعين للحكم أحدهما الفرع المباشر من الذرية الملكية، والآخر فرع الأعمام من أخوة رعمسيس الثالث وأبناؤهم بالطبع، وقد عكس ذلك الصراع

---

(١)إبراهيم على إبراهيم مصطفى مجاهد، صور الظلم ووسائل مجابهته في مصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٥١- ٥٢.

(٢)أحمد بدوى، في موكب الشمس في تاريخ مصر الفرعونية منذ فجره الصادق إلى آخر الضحى، ذاكرة الكتابة (٧)، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٠٤.

(٣)أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

obeikandi.com

إغفال اسمه واسم والده في قائمة أبناء رعمسيس الثالث وحرصه على إضافته بمعبد رعمسيس الثالث بمدينة هابو. وربما دل على ذلك بوجود نظام لحكم مشترك بينه وبين أبناء رعمسيس الثالث والدليل على ذلك منظر يجمع بين رعمسيس الرابع والسادس بمدينة هابو. (شكل ٩)

وأيضاً في عصر الأسرة الواحد والعشرين كانت سلالة حريحور غير قادرة على احفاظ على وحدة الوادى المحطم، فكاهن آمون كان هنا ليزرع الشقاق وليثبت أن السلطة السياسية لا تتفوق على السلطة الدينية، وغرقت البلاد في حرب أهلية، ولم تعد طيبة عاصمة الفراعنة، وأصبحت تانيس مقر ملوك الشمال الذين أضحوا شيئاً فشيئاً أسياد المحور السياسي الجديد في البلاد، فانقسمت إلى نوبيا خوفاً من تعريض حياتهم للخطر.

وظلت مصر تعتمد اعتماداً كبيراً على المرتزقة اليونانيين والأناضوليين والليبيين والكاريين، وقيام ملوك الأسرة الثانية والعشرين باختيار أبنائهم شخصياً بل قد يعطيهم حججاً للمطالبة بالتاج في حالة ظهور منازعات وبالتدريج انتشرت فوضى مرعبة وأصبحت مظاهر التنافس على السلطة لا تقتصر على طيبة بل ظهرت أيضاً في هيراقليوبولس فانفرط عقد البلاد وانتهى الأمر إلى ظهور ممالك متزامنة في هيراقليوبولس وفي غيرها من مدن الدلتا، وفي عصر الأسرة الثالثة والعشرين حكم مصر أسرتان ملكيتان في وقت واحد فشمل نفوذ بادى باست مؤسس الأسرة جزءاً كبيراً في غرب الدلتا كما أيده كهنة طيبة، بينما استمر كهنة منف يؤيدون الملك الآخر الذى امتد

نفوذه شرق الدلتا ومصر الوسطى، مما أدى إلى ازدياد تفكك البلاد داخلياً في أواخر تلك الأسرة[١].

كما حدث اضطراب في الحالة الداخلية للبلاد في عصر الأسرة الرابعة والعشرين، والخامسة والعشرين (٧١٨- ٦٦٣ ق.م) وتنافس على الملك عدة أمراء كان أهمهم وأكثرهم قوة "تف نخت" مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين وكان ينافسة أربعة ملوك الأول بتل بسطة والثانى بالأشمونين، والثالث بتانيس والرابع بإهناسيا، مما يعكس حالة التفكك والانقسام التى كانت سائدة بالبلاد.

ولم يترك بعنخى مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين حامياً في الإمارات لتدعيم ملكه فقاموا الأمراء مرة أخرى بمعاونة جميع الأمراء الآخرين ومضوا في كفاح مرير ومقاومة عنيفة حتى تمكنوا من طرد بعنخى كما يتضح من نصوص طهارقة وتانوت آمون وآشور بانيبال، أن مصر عادت إلى التفكك والانقسام مرة أخرى إلى مقاطعات صغيرة، كما يحدثنا هيرودوت عن روايته لقصة تتصل بأول ملوك الأسرة السادسة والعشرين قائلاً "وضع المصريون اثنى عشر ملكاً عليهم حين قسموا مصر إلى اثنى عشر جزءاً"[٢].

([1]) Bard, A. K., Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt, New York, 2008, p. 62;

- Edgerton, F. W., The Government and the Governed in the Egyptian Empire, JNES, vol. VI, London, 1947, p. 160;
- Richardson, S., Libyan Trade and Society on The Eve of the Invasions of Egypt, JARCE, vol. XXXVI, New York, 1999, p. 149'
- Wilson, A. J., The Libyans and The End of The Egyptian Empire, AJSLL, vol. 51, London, p. 82.

([٢])جيمس هنرى برستد، مرجع سابق، ص ٣٦٨؛

- Breasted, J. H., A sketch of Egyptian History from the Fall of the Native =Kings to the Persian Conquest, BW, vol. I, New York, 1997, p. 418, 420;

openkenan.com

ظهور التأثير الأجنبي واضحاً في الإدارة المصرية:

حيث استخدام الخدم الآسيويين تحت تصرف الموظفين الحكوميين، وبدأ الفراعنة يستعينون بالأرقاء الأجانب الذين أسروا في الحروب، بحيث أمدتنا النصوص بأسماء عدد كبير من الموظفين الأرقاء الأجانب الذين تولوا مناصب عاليه، ويعتمد عليهم الملوك المصريون يحكم خدمتهم ولعل خير مثال لهؤلاء هو المعو "دودو" ذو المكانة المعروفة في بلاط إخناتون، والذي يفهم من رسائل تل العمارنة صلته الوثيقة بإخناتون، وقد كان من جراء نفوذ أمثال "دودو" أنه قام بتحريض سكان الولايات المصرية بالثورات على الحكم الفرعوني فتقلص نفوذ الملك المصرى في الدولة المصرية[1]. (شكل ١٠)

كما يوجد بمتحف الفاتيكان تمثال لأمير الأسطول المصرى "وجارست" الذى عاصر وقت الغزو الفارسى على مصر وجاء في النقوش أن الأجانب الغاضبين قد أساؤوا معاملة مصر وآلهتها وخصوصاً في مدينة "صا الحجر" (غرب الدلتا) مما أثار شعور المواطنين فقاموا بثورة عاتية وانتشرت الفوضى في البلاد، ثم جاء في نهاية الأسرات المصرية القديمة مؤسس الأسرة الثلاثين الملك "نختنبو" فعندما انفرد بالحكم اتصل بالإغريق وحالفهم أيضاً وعمل على تأليف جيش منهم ضمه إلى الجيش المصرى،

= - Wilson, A.J., op. cit., p. 82.

([1]) Giles, J. F., The Amarna Age: Egypt, London, 2007, pp. 130- 131;

- محمد شفيق غربال، وسليمان حزين، وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني، م ٢، القاهرة، (١٩٠٠)، ص ١٣١؛

- محمد رأفت عباس شحاتة، الحرس الملكي في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٢٠٢- ٢٠٣.

openkanal.com

وفرض الضرائب الفادحة على الأهالى، ثم ألغى امتياز الكهنة فأصبح موضع سخط للشعب وازدادت أحوال البلاد اضطراباً[١].

ظهور الدسائس والمؤامرات الملكية فمثلاً:

في عصر الملك تتي (أول ملوك الأسرة السادسة) عندما حاول الملك أن يعود إلى مذهب الإله بتاح إله مدينة منف والانصراف عن مذهب الإله رع إله مدينة هليوبوليس (عين شمس)، وقد منح الملك الكثير من الهبات والامتيازات الملكية إلى كبير كهنة بتاح وخصه بأرقى المناصب في قصره، مما زاد من حقد كهنة الشمس عليه وأدى في النهاية إلى حدوث فتنة دينية، وتدبير مؤامرة لقتل الملك بواسطة حراس قصره، وتوليه العرش إلى الملك بيبي الثانى (من ملوك الأسرة السادسة) وهو في السادسة من عمره وحكم أربعة وتسعون عاماً، ويقول د/ أحمد بدوى "من سوء الطالع أن العمر امتد بذلك الملك الضعيف واشتدت المظالم في عهده، ثم شبت ثورة عاتية في البلاد "ثورة على العرش" وعلى الحكام وعلى الآلهة وعمت الفوضى[٢].

---

(١)جان يويوت، المرجع السابق، ص ٢٠٣؛

- أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر- سورية القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٢٣٨؛

- Bunsun, M., op. cit., p. 82;
- Murray, A. M, op. cit., pp. 70- 71.

(٢)جيمس هنرى برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، راجع وصححه محمد حسنين الغمراوى بك، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣٤١، ٣٦٨؛

- ج. شتيندورف، وك سيل، عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة محمد العزب موسى، مراجعة محمود ماهر طه، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٥٥؛ =

obeikandi.com

وبانتشار الفوضى واختلال الأمن في عصر الملك رمسيس الثالث أدى إلى تدبير مؤامرة لقتل الملك سميت بمؤامرة "الحريم الكبرى" التى ذكرت في بردية هاريس كالآتى: "أن إحدى نسائه وتدعى تيتى غاظها إثارة أحد أبنائه (بنتاؤور) ليخلفه على العرش فتآمرت هى وابنها وجماعة من الحراس على قتلة ولكن المؤامرة كشفت في الوقت المناسب ونجا الملك من الموت[1].

وأيضاً في بردية الاتهام (تورين ١٨٨٧) (وهى بردية ترجع إلى عهد الملك رمسيس الخامس) وتسجل لنا المخالفات التي ارتكبها كاهن معبد خنوم بالفنتين ويسمى الكاهن (با-إن-عنوقت 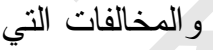) وتدل الجرائم والمخالفات التي ارتكبها هذا الكاهن على حالة الانحلال والتفكك السياسي التي كانت تمر بها الإمبراطورية المصرية في ذلك الوقت مثل: أخذ ممتلكات لا تخصه والتصرف فيها بدون وجه حق، وكما اتهم بالتآمر على أحد الكهنة حتى لا يتمكن من توليه وظيفته وذلك عندما رشحه الوزير لذلك واتهم أيضاً بمعاقبة شخص بدون وجه حق مع أنه غير مختص بذلك.

- Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period in Egypt, Sdt 2, London,= 1972, p. 250;
- Thijs, A. D., The Troubled Careers of Amenhotep and Panesy: The High Priest of Amun and The viceroy of Kush Under the Last Ramessides, SZÄK, vol. 13, Berlin, 2003, p. 220;
- Kanawati, N., op. cit., pp. 88- 99.

([1])فرانسوا دوما، المرجع السابق، ص ١٢١؛

- Edgerton, F. W., The Strikes in Ramsess III's Twenty Years, JNES, vol. X, London, 1952, p. 138;
- Bunsun, M., A Dictionary of Ancient Egypt, New York, 1995, p. 82;
- Murray, A. M., The Splendor That was Egypt, London, 1949, pp. 70- 71;
- Bard, A. K., An Introduction to the Archaeology of Ancient Egypt, London, 2008, pp. 163- 164.

obeikandl.com

كما ظهر فساد وتسلط لرؤساء العمل على مرؤوسيهم مع تغاضى الإدارة عن محاسبتهم، وكان لبعض الموظفين ورؤساء العمل في معظم الأحيان سلطة شبه مطلقة في تسخير العمال وإسناد الأعمال إليهم، مما أدى إلى وقوع بعض حالات الظلم من كبار الموظفين سيئ الخلق على مرؤوسيهم من العمال نتيجة للسلطة الممنوحة لهم ويدل على ذلك ما ورد في (بردية تورين ١٨٨٢) والتي تحتوى على رسالة موجهة من "جحوتى إم-حب" رئيس أرشيف المخازن الملكية إلى "باك-إن-بتاح" أحد كتبة معبد جورون بمنف يعاتبه فيها على تسخير عمال في غير أعمالهم الصحيحة مما يدل على أنهم كانوا مفوضين من قبل الوزير في ذلك[١].

ثانياً: مظاهر الفساد الإداري في الجانب الاجتماعى من حيث (سرقات المقابر الملكية- عمليات الرشاوى والاختلاس، إضراب العمال- الشكاوى- التمرد):

أولاً: سرقات المقابر الملكية: وعمليات الرشاوى والاختلاس والتزوير:

انتشر الرعب والفوضى في البلاد وبدأت بعض العصابات في طيبة تفتح مقابر الملوك القدامى سراً للحصول على الذهب، وعلى سبيل المثال في عهد الملك سيتى الثانى (من ملوك الأسرة التاسعة عشرة) وصل الفساد الإدارى في عهده إلى أن أحد رؤساء فرق العمل بدير المدينة "با-نب" كان يقوم بأعمال السرقة والاغتصاب والقتل وإرهاب القرية تحت أنف السلطات والدليل على ذلك ما ورد في بردية "Salt 124" وهي ترجع إلى عصر الملك رعمسيس الثالث وهى عبارة عن شكوى مقدمة من العامل "آمون نخت" ابن

([١])إبراهيم على إبراهيم مصطفى مجاهد، المرجع السابق، ص ٥٣، ص ٥٨- ٦٠.

رئيس العمال "نب نفر" ضد رئيس العمال "با- نب" صاحب المقبرة رقم ٢١١ في منطقة دير المدينة الذى ارتكب جرائم مختلفة ضد العمال وضد رؤسائه، واتهم بالسلب والرشوة والشروع في القتل وسرقة الأحجار من المقابر الملكية والعديد من الجرائم الأخرى مثل" توليه منصب رئيس العمال رغم سمعته السيئة وذلك عن طريق تقديم رشوة للوزير "با- رع-إم-حب"، كما اتهم أيضاً باستغلال منصبه في سرقة أشياء خاصة بالملك "ستى مرنبتاح" (من ملوك الأسرة التاسعة عشرة) واتهم فيها الكاتب ظلماً مما ترتب على معاقبته دون ذنب ارتكبه[١] (شكل ١١- ١٢).

واتهم أيضاً باستغلال العمال لإنجاز أعماله الخاصة، وتدل تلك التهم والتي وجهت إلى رئيس العمال "بانب" على الفساد والاستهتار وتهاون إدارة الحكم في البلاد، ولاسيما أن "بانب" كان من المسئولين عن إقامة العجل في مجتمع دير المدينة وذلك من خلال ما ورد في إحدى البرديات التى ترجع إلى العام الخامس من عهد الملك سيتى الثاني من أن "حاى" رئيس العمال اتهم من جانب بعض الفلاحين بتحريض من "بانب" بسب الفرعون وكان يرأس المحاكمة رئيس العمال نفسه[٢]. (شكل ١٣)

كما أشارت بعض النصوص عن عمليات التزوير في الغلال كما في عصر الملك رمسيس الرابع، وقد قام به "ربان السفينة" "خنوم نخت" خلال تسع سنوات وهى بردية بها نصوص تشير إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها البلاد في نهاية حكم رعمسيس الثالث فدفع الجوع بعض عمال الجبانة إلى القيام بأول إضراب في التاريخ.

---

(١)إبراهيم على إبراهيم مصطفى مجاهد، المرجع السابق، ص ٥٣- ٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣- ٥٧.

obeikandi.com

وفى منطقة الفانتين (جنوب أسوان) حيث برر الحراس سرقة القمح من المعبد في عهد الملك رمسيس الخامس (من ملوك الأسرة العشرين) بحالة الفقر التى وصلوا إليها وكان يستتر بعضهم على بعض مقابل "إناء من النبيذ" (رشوة) دون أن تقلق ضمائرهم[١].

وورقة هاريس التي دون عليها عدة متون غير مرتبط بعضها ببعض من حيث الموضوع، ولكنها كانت كلها خاصة بالسرقات التى كانت تحدث في المقابر، ومن ضمن الموضوعات التى كانت تحويها التحقق مع البناء "آمون بانفر" الذي اعترف بأنه سرق مع جماعة آخرين مقابر في الجهة الغربية من "طيبة" في عصر الملك رمسيس التاسع، واقتحمت هذه العصابة مقبرة الملك "سوبك إم ساف" (من ملوك الأسرة السابعة عشرة) واعترف اللص "آمون انفر" بأنه كان عضو في عصابة مكونة من سبعة لصوص وقد قبض عليه مرتين وكانت وسيلته في الهروب حسبما جاء في اعترافاته رشوة كاتب الناحية بأربع قطع ذهبية في حين اضطر في المرة الثانية بدفع ٢٠ دبن لذات الكاتب، وعندما عاد لمزاولة نشاطه عوضه زملاؤه عما تكبده (في شهامة مبررة) ربما لأنه لم يفش سرهم[٢].

---

(١) إبراهيم على إبراهيم مصطفى مجاهد، المرجع السابق، ص ٥٨.

(2)ElSaddy, H., Consideration on Pripery in Ancient Egypt, SAK 25, Hamburg, 1998, p. 4.

openkandil.com

ثانياً: ظهور الشكاوى والإضراب:

حيث بردية الفلاح الفصيح والتي تصور لنا الحالة الاجتماعية في تلك الفترة (العصر الإهناسي في نهاية الأسرة العاشرة) وتوضح لنا كيف يستغل بعض الموظفين وظائفهم في ظلم الفقراء من الناس، بينما يعني بتقبل شكوى المظلومين ورد حقوقهم إليهم وتتلخص في أن قروياً ويدعى "خو-ن-إنبو" خرج من قريته وهي بلدة تسمى "حقل النطرون" بماقطعة الفيوم بغية التجارة في شتى السلع من الغاب والنطرون والأخشاب، ثم حمل حميره بشتى السلع بغية أن يبيعها في العامصة إهناسيا، وفي قرية تدعى (بر-فيفي) كان يتولى أمرها موظف شرير وكان يتولى منصب كبير حجاب قصر الفرعون ويدعى "تحوت نخت" فطمع في تجارة القروى وحميره، فأراد أن يكون له نصيب فيها، فاعترضه على طريق زراعي ضيق، عندما قضم أحد حمير القوي قضمة من سنابل الغلال فاعتبرها "تحوت نخت" فرصة على أن يستولى على حمير الفلاح جراء جرمه، ويحتج القروى، ويهدد بإبلاغ الأمر إلى صاحب الأرض، ويغضب "تحوت نخت" ويستولى على بضاعة الفلاح وحميره وينهال على الفلاح ضرباً في كل أجزاء جسمه ويصيح القروي باكياً آمراً إياه بالسكوت وعدم الشكوى فيرد القروي: "أتضربنى وتسرق مالى وتمنعنى أن أشكو"، ويظل القروي عشرة أيام يستعطفه ويتضرع إليه ولكنه لم يهتم بالأمر (تحوت نخت) مما اضطر إلى أن يشكو إلى ناظر الضيعة "رنسى بن مرو" في تسع شكاوى أو خطب[1].

(١) محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، الآداب والعلوم، ج ١، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٨٥- ٨٦.

obeikandi.com

وفي عصر رمسيس الثالث تمرد أحد وزرائه عليه في منطقة إتريب (بنها) فالوزير المسئول عن شمال مصر هو من قام بقيادة المعارضة بنفسه وهو من وجه الإهانة لسيد البلاد دون خجل أو خوف، وتم نهب المبانى العامة، والمعابد الكبيرة، وسرقت كل التماثيل، وكنوز الآلهة.

وفي السنة السادسة من حكم الملك رمسيس العاشر (من ملوك الأسرة العشرين) حدث إضراب حيما رفض كبير كهنة آمون أن يصرف لهم مخصصاتهم مما اضطر العمال إلى تقديم الرشاوي إلى كبار الموظفين حتى يستطيعوا أن يفوزوا بحقهم.

وهناك شكوى كتبت في السنة التاسعة لحكم "دارا الأول" وهذه القصة تؤرخ بالعصر الفارسى وتسمى "بظلامة بتيسى" حيث إن أحداثها ترجع إلى العصر الصاوي وهى بردية ديموطيقية وتتحدث عن أحد كتبة بيت الحياة وهو "بتزيس" الذى كان يشكو من ظلم وقع عليه وعلى عائلته من كهنة آمون بالحيبة وتعرضت فيها سلالته خلال أربعة أجيال مليئة بالاغتيالات والسجن والتعذيب وكان يشكو من أن أعداءه كانوا من مختلف الشخصيات وكانوا على صلة ببعض ذوى السلطة والنفوذ في الدولة وكان هؤلاء يحاولون تجريد عائلة بتزيس من حقوقها وقام المصريون بثورة في منطقة الدلتا في فترة الاحتلال الفارسى، وكان سبب الثورة هى فداحة الضرائب، وهناك إشارة في بعض الخطابات إلى استيلاء الثائرين على شحنة سفينة محملة بالغلال ولكن "دارا" توفى قبل أن يستطيع القضاء على هذه الثورة[1].

([1])رمضان عبده على السيد، حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية، تقديم زاهى حواس، ج ١، نحو وعى حضارى معاصر، مشروع المائة كتاب ٤١، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٩٢- ٣١٣؛ =

obeikandi.com

ثالثاً: مظاهر الفساد الإدارى في الجانب الدينى:

ظهرت نصوص دينية في الفترة التي أصيبت فيها الملكية بالضعف فخلال عصر الدولة القديمة لم يكن الفرعون في حاجة إلى هذه النوص فلقد كان قوياً في عالم الآخرة، كما كان قوياً في الحياة الدنيا، ولكن عندما ضعفت سلطة الملك إدارياً احتاج إلى هذه النصوص، وهذه النصوص سميت "بمتون الأهرام" أو "نصوص الأهرام"، وقد دونت على جدران حجرة الدفن للملك "ونيس" آخر ملوك الأسرة الخامسة، وهناك عبارة تؤكد فيها نزول الفرعون عن ألوهيته حتى في نظر أتباعه من الكهان، وهي تصف الملك بأنه "قزم راقص سوف يسر فؤاد الإله".

وهناك مثال ورد في نصوص الأهرام، وهي تصف الملك المتوفي بأنه "صادق لدى السماء عادل لدى الأرض"، وفيها نوع من الارتباط المبهم بين السلوك في الدنيا وبين المصير في الآخرة، وأنها كانت بداية لتطور هام في أقوال الفرعون نفسه في العصر التالى، عندما نزلت الضربات بالملكية الفرعونية في خلال عصر الاضمحلال الأول[1]. (شكل ١٤)

وبتتابع الأوضاع الإدارية والسياسية المضطربة، فنلاحظ اهتمام المصرى القديم بالحياة الآخرة، وهناك فقرات كتابية تتحدث عن تلك الفترة مثل:

- =مختار السويفي، مصر القديمة، دراسات في التاريخ والآثار، تقديم محمد جمال الدين مختار، ط ١، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣١٧- ٣١٨.

([1])عبد المنعم عبد الحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، دراسة تحليلية مقارنة في نشأة وتطور الحكم والعقائد والفن، ج ١، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص ١٣٤- ١٣٦؛

- Hurnung, E., The Ancient Egyptian Nook of The Afterlife, London, 1999, pp. 5-6, 9.

obeikandl.com

"الموت يقف خلفى فهو يشبه الصحة التي تعود إلى المريض، ويشبه الإشراق والظهور من المرض والضعف".

"الموت يقف خلفى اليوم فإنه (الموت) يشبه رائحة بخور المر".

"الموت يقف خلفى اليوم، فهو يشبه رائحة زهرة اللوتس".

"الموت يقف خلفى اليوم، فهو يشبه مغادرة البيت كثيراً بعد العديد من سنوات الأسر".

وبدأ إيمان المصريين القدماء بالأساليب المادية كوسائل لتحقيق الخلود يتزعزع، فالأهرامات الضخمة وخاصة أهرامات الأسرة الرابعة التى انفق فيها الفراعنة الأموال الطائلة في إقامتها فقد فتحت ونهبت، وأخذت موجة من التشكك تسود بين الناس بوجه خاص في أنشودة شاعت في تلك الفترة، وتعرف بأنشودة "العازف على القيثارة" إذ تقول "تزول الأجيال جيلاً بعد جيل منذ أزمات أسلافنا والآلهة (الفراعنة) الذين ظلوا هادئين في سالف الأيام في مقابرهم، وكذلك الموتى السعداء المدفونين في أهراماتهم تلاشت أماكنهم ولم يعد لما شيدوا من أثر... ماذا أجرى لهم؟

فإن هذه الأغنية تعبر عن الشك في الحياة الآخرة، وهذا الشك نتج عن فترة الفوضى السياسية أثناء الفترة الانتقالية الأولى، فيتحدث الإنسان عن حالة ويقول "من الذى ينقذنى من هذه الأزمة النفسية والظروف الصعبة التي تدفع إلى اليأس"....إلخ[١].

([1])SäveSöderbergh, S. T., Pharaons and Mortals, New York, 1958, pp. 56- 57;
- Hornung,E., op. cit., p. 9;

- عريان لبيب حنا، الشخصية المصرية في مصر القديمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥٩.

obeikandl.com

كما ظهرت نصوص دينية أخرى في فترات الضعف السياسي وهى تسمى "بنصوص التوابيت" والتي كتبت على جدران التوابيت وتحتوى على فصول لحماية المتوفى في العالم الآخر، وتلك التعاويذ تقوم بنقل روح المتوفى بسهولة إلى السماء في شكل لطائر البا (طائر الموت).

وكذلك ظهور كتاب الموتى (الخروج في النهار) وبعض الكتب الأخرى مثل كتاب الطريقين، وكتاب البوابات، وكتاب السماء، وكتاب الأرض، وكتاب الليل وغيرها من الكتب فكانت تحمل التعاويذ السحرية التي تحمل المتوفى بسهولة إلى الطريق الآمن، وتحميه من العوائق والصعوبات التي توجد على الطريق، وقد انتهز الكهنة فرصة تضليل البشر وابتكروا هذه الكتب للحصول على الثروات الطائلة والكسب غير المشروع. (شكل ١٥-١٦)

وقيام الكهنة بتدبير المؤامرات وإشعال نيران الثورة الدينية ضد الملوك وظهر ذلك بوضوح بعد وفاة الملك إخناتون (حوالى عام ١٣٥٠ ق.م) عندما قام الملك بنقل العاصمة من طيبة إلى تل العمارنة وارتد عن عبادة الإله (آمون) إلى الإله (آتون)[١].

كما أصبحت الآلهة المصرية ليس لها قيمة ومهجورة، وضعفت العقيدة الإيمانية عند المصريين القدماء باحتياجهم لما هو يساعدهم في العالم الآخر، خوفاً لما سيحدث لهم فيه، فاهتم المصرى القديم بإعداد لوازم الدفن كاملة من أثاث جنائزى، وقرابين، واهتم بالسحر وقام بعمل تعاويذ سحرية تحميه من مخاطر العالم الآخر، وهناك صور سحرية

([1])Hornung, E., op. cit., p. 15;

- ب. ج. أدامز، ج الدن ماسون، ف. ر. التشين، الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة عبد القادر محمد، وزكى إسكندر، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٥٨١؛
- Hobson, C., Exploring The world of the Pharaons, Singafor, 1987, pp. 170- 171.

obeikandl.com

كان استعمالها شائعاً في مصر القديمة عند جميع طبقات الشعب، ولم يكن الملك نفسه يترفع عن استعمالها على أعدائه ففى "متحف برلين" كمية من الاستراكا المصنوعة من الفخار الأحمر، كتب عليها صيغ لعنات على كل أعداء الملك، وقد ذكرت عليها أسماء أعداءه الذين لم يكونوا من المصريين فحسب بل كانوا من الآسيويين، واللوبيين، ولدينا كذلك من عصر الدولة الوسطى صيغ لعنات كتبت بالمداد الأحمر على أشكال خشنة تمثل أسرى راكعين وأذرعتهم موثوقة من خلاف وهى محفوظة بمتحف القاهرة، وبركسيل "ببلجيكا" ويبدو أن الساحر كان يتلوا على هذه الأشكال صيغاً تجعل هؤلاء الأعداء عاجزين، وكان الملك بموت أعدائه السحرى يعتقد أنه قد تخلص من الخطر الدائم، كما ظهرت اللعنات التى كانت تكتب على جدران المقابر أو التوابيت وكانت تحتوى في أغلبها على تهديدات، كلعنات ضد المغتصبين لهبات المقبرة أو محتوياتها، وهناك كلمات أخرى كانت خاصة بالكهنوت فهى تهدد الكهنة إذا ازداد نفوذهم، فتقوم تلك اللعنات بفرز السم فيهم، وهناك امثلة لتلك اللعنات كما في مقبرة الملك "توت عنخ آمون" (من ملوك الأسرة الثامنة عشرة) نوع من التحذير والحماية فيقول "إنه أنا الذى أمنع الرمال من الوصول إلى الغرفة المقدسة، وأنا موجود لحماية المتوفى"[١]. (شكل ١٧)

كما ظهر الفساد الإدارى في هدم المعابد والآثار وحرقها، وشهدت مصر بذلك بدخول الغزو الفارسى إلى مصر، ونقلاً عن استرابون "أن قمبيز قام بضرب معابد هليوبوليس" بالحديد والنار وهدمها وحرقها من كل ناحية كما فعل ذلك بالمسلات واتبعت

---

(١) إبراهيم محمد بيومى مهران، مصر في عصر سنوسرت الثالث ١٨٨٧- ١٨٤٩ ق.م دراسة تاريخية أثرية لغوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ١٧٤- ١٧٥؛

Murray, M. A., op. cit., p. 19;Hornung, E., op. cit., p. 9.

نفس السياسة في عهود الملوك الآخرين، ولكن هذه السياسة اشتدت عنفاً في عهد الملك "أخوس" (من ملوك الفرس الأسرة السابعة والعشرين) وأصبح ذلك تخريباً متعمداً بنقل كنوز المعابد إلى فارس، ونقلاً عن ديودور الصقلى أنه نهب كنوز المعابد، وامتهن ديانتها، وأمر بنقل تماثيلها الثمينة إلى فارس، وتاجر أعوانه بوثائقها النادرة، وقطع المساعدات عن مدينة بوتو، مما جعل كهنتها يتوسلون إليهم بالاعتناء بالمعبد، وفي عهد الملك "دارا الثالث" (آخر ملوك الأسرة الثلاثين) خوت المعابد المصرية وما عاد شيء يجرى بها[١].

رابعاً: مظاهر الفساد الإدارى في الجانب الاقتصادى:

ظهرت أزمة في الاقتصاد المصرى القديم ويفهم من الوثائق أن أسباب الأزمة الاقتصادية يرجع إلى ضعف الإدارة والحكومة وعدم استتاب الأمن، والامتناع عن زراعة الأراضي، وامتناع بعض الأقاليم عن دفع الضرائب، وتعطيل الصناعة، وعدم القيام بالبعثات إلى سيناء، هذا إلى جانب انقطاع التجارة الخارجية، وضياع ثروات الدلتا التى أصبحت تحت أيدى الآسيويين، ويقول "إيبو–ور" "إن النيل يفيض ومع ذلك لا يقوم أحد من الفلاحين بحرث الأرض"[٢].

انتشار المجاعات بين الناس ويقول "إيبو–ور" "لقد أصبح الناس يأكلون الحشائش ويشربون الماء، ولا توجد فاكهة، كما لا يوجد عشب يأكل منه الطير، وأصبحت مخازن

---

(١)عز سعد محمد سلطان، الحالة السياسية والاجتماعية في مصر الفرعونية (الأسرة السابعة والعشرون – الغزو الفارسى)، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٠٤.

(٢)محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ٣١١– ٣١٣.

obeikandi.com

الحكومية خاوية، وجاوز الإقطاعيون المدى واستولوا على خيرات البلاد، وكان هذا يعني حرمان الشعب الكادح من ثمار عرقه وتعبه، "لقد أصبحت الماشية والقطعان تندب بسبب حالة البلاد، والرجل يقتل أخاه من أبيه.

قيام حكام الأقاليم بفك أسرار التبعية الاقتصادية للخزانة الملكية، والدليل على ذلك يقول "إيبو-ور" حقاً لماذالا تدفع جزيرة أسوان (إليفانتين) وثنى (بإقليم أبيدوس) الضرائب وهناك حاجة إلى الفاكهة، والقمح، وكل أنواع التجارة، فما فائدة الخزانة بدون دخل؟"[١].

كما حوت نصوص الدولة الوسطى الجانب الاقتصادي، لذا لجأت نصوص تلك الفترة الخاصة بالملوك وحكام الأقاليم إلى الاهتمام بهذا الجانب، وظهر في نبوءة "نفرتى" أو "نفر- رهو" وهو يصف في هذه البردية البلاد بأنها أصبحت خراب بسبب عدم الاهتمام بها، ويتبين من نص البردية أن المخازن المركزية، والمحاكم، وسجلات الأراضي والقوانين المكتوبة قد اختفت، والمسئولون قد فروا إلى ديارهم، والقضاء على صناعة البلاد، فيقول "نفرتى" "لا صانع العمل يعمل والعدو يحرم البلاد حرفها"[٢].

ويؤيد المتنبئ "نفرتى" وجهة النظر التي ذهب إليها الحكيم "إيبو- ور" وإن كان يعلل امتناع الفلاحين عن زراعة الأراضى إلى عدم وجود فيضان للنيل حيث يقول "لقد جف نيل مصر حتى ليخوضه الناس بالقدم، وسوف يبحث الناس عن الماء لتمخر عبابه السفن، فإذا بهم يجدون أن الطريق قد صار شاطئاً، وأن الشاطئ صار ماء"[٣].

---

(١)عريان لبيب حنا، المرجع السابق، ص ٦٢- ٦٣؛

- حسن محمد محي الدين السعدى، المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٢)محمد على سعد الله، تطور المثل العليا في مصر القديمة، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٢٢٤- ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١١.

obeikandl.com

حرمان البلاد من دخل التجارة الخارجية التي كانت تجني منها دخلاً كبيراً، ويقول الحكيم "إيبو-ور" "ما عاد أحد يبحر إلى جبيل فما الذى سوف نفعله بشأن أخشاب الأرز التى اعتدنا أن نصنع منها توابيتنا، والزيوت التى يحتفظ بها الأمراء، والتى كانت ترد إلينا من هناك، ومن كفتيو (كريت)، كما تسبب الغزو الأجنبي فى عدم استغلال مناجم سيناء[١].

كما ظهرت الأزمة الاقتصادية في نقوش حكام الأقاليم أمثال عنخ تيفى، وخيتي الثانى، وغيرهم، ويتحدث عنخ تيفي في نقوشه أنه مد خلالها مدن أخرى إلى جانب مدينته بالهبات والقمح، وفي نقوش مقبرة "خيتى الثانى" أمير أسيوط بأنه قدم هدية لمدينته بأنه حفر ترعة ليروى الفلاحون أرضهم، وتحدث عن دوره في القضاء على المجاعة التي واجهها فيقول: "عندما حلت سنوات المجاعة حرثت جميع أراضى الأقاليم من حده الجنوبي إلى الشمالي، وأبقيت الأهالي أحياء وأعطيتهم طعاماً"... إلخ[٢].

إنفاق أموال طائلة في عهد الملك إخناتون بسبب تكاليف بناء العاصمة الجديد للإله "آتون" (آخت – آتون)، فضلاً عن حرمان الزراعة من الأيدي العاملة التي استغلت في بناء المباني إلى جانب التسيب في الإدارة والفوضى التي انتشرت في جنوب الصعيد أدى إلى حدوث أزمة في الاقتصاد المصري القديم.

تدهور سلطان مصر في الخارج (في أواخر الدولة الحديثة) ونرى مقدار هذا التدهور في تقرير قصة "ون آمون" وضياع هيبة البلاد في "سوريا" وعدم السماح لون آمون بأخذ أخشاب الأرز لصناعة القارب المقدس للإله آمون، ومعاملة أمير ببلوس لون

---

(١)محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٣١٢- ٣١٣.

(٢)حسن محمد محي الدين السعدى، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

آمون معاملة سيئة قائلاً (أمير ببلوس) "لست خادماً لك ولمن أرسلك" وهذا يعطى الانطباع بانهيار السيادة المصرية على بلاد الساحل السوري[١].

تركت خزينة البلاد خاوية، وثروات البلاد مستنزفة وأخذت الموارد المالية في التناقص تحت حكم آخر الرعامسة؛ إذ كان جزء كبير من الأراضي المزروعة تمتلكها الآلهة، كما كانت جبانة الجزية من الخارج عملية تزداد صعوبة، ولم تكن الدولة قادرة على إثراء موظفيها، ومن ثم وجد هؤلاء الموظفين ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصي، كان أكثرهم يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات آمون، فأدى ذلك إلى تدهور المحاصيل الزراعية، وكثرة المجاعات، وإنساق صغار القوم وراء كبارهم في أعمال السلب والنهب[٢].

تدهور الإنتاج الزراعي في عصر الرعامسة؛ ففي عهد الملك رعمسيس الثالث كان يجبر رعاياه على تقديم عشرة آلاف كيس من القمح سنوياً إلى معابد طيبة وحدها، وعجز عن إمداد عمال دير المدينة عن العمل، وعسكروا أمام ديوان الخزانة، وأصبحت خزانة كهنة طيبة بعد عهد رعمسيس الثالث أغنى من خزانة الدولة.

وأيضاً سرقة القمح من المعابد في عهد رعمسيس الخامس في منطقة الفانتين وقد برر الحراس عن سرقة القمح بحالة الفقر التى وصلوا إليها، وكيف يدينهم الكهنة وهم يسرقون مثلهم، ووصل المتهمان في هذه السرقات إلى أرقى المناصب، وفي عهد رعمسيس السادس وصلت أسعار الحبوب لمستوى باهظ في التكاليف[٣].

---

(١)حسن محمد محي الدين السعدى، المرجع السابق، ص ٣١١.

(٢)جان يويوت، المرجع السابق، ص ١٤٦.

(3) Eyre, C. J., Crime and Adultery in Ancient Egypt, JEA, vol. 70, London, 1984, p. 93.

openkanal.com

كانت حسابات الخزانة الملكية مرتبكة في عصر الانتقال الثالث (من الأسرة الواحدة والعشرين إلى الأسرة الرابعة والعشرين) بسبب ضعف الإدارة، حيث أشارت الوثائق القليلة التى وصلتنا عن نظام الأراضي ولكننا لا نعرف عنها إلا القليل، بينما تؤكد نصب كثيرة أقيمت أثناء حكم الأسرات الليبية بتعاظم الهبات الدينية التى تزيد من ثروة الكهنة على حساب الدولة، كما ظهرت آثار اللامركزية، وانعدام الأمن في تدهور الإنتاج الزراعي، حيث إن رجال الحرب والدين أعملوا من أجل حمل الفلاحين على تسديد التزامهم، فكانت تلك الفترة من أظلم العهود التي شهدها فلاحو هذا العصر(١).

خامساً: مظاهر الفساد الإدارى في الجانب الفنى:

حدث تطور هام في الفنون التشكيلية لتدهور الأحوال السياسية بالبلاد، وفقدان الأعمال الفنية طابعها الملكي وأخذت تتسم بسمات شعبية واضحة لها مزايا الفن الشعبي ونقائصه، والدليل على ذلك أن النقوش الجدارية الباهظة التكاليف أخذت تقل شيئاً فشيئاً لتدل محلها نماذج من تماثيل صغيرة، ودمى من الخشب تقوم مقام النقوش في الاستجابة لمطالب الميت، وهكذا نحتت نماذج مجسمة صغيرة للخدم وهم يقومون بواجباتهم وهى بدائية الصنع(٢).

---

(١)جان يويوت، المرجع السابق، ص ١٤٧، ١٦٥.

(٢) نور جلال عبد الحميد، ملامح من فيض الحضارة في العصور المصرية القديمة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٨٧؛

- سيريل ألدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة وتحقيق مختار السويفي، مراجعة أحمد قدري، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٥٨– ١٥٩، ١٩٢.

obeikandl.com

تخلى الملوك عن استخدام نسب الضخامة في بناء الأهرامات المعروفة في نهاية الدولة القديمة، بيد أنه عندما لاحت بواكير الضعف السياسى حيث بدأت الحياة تأخذ من القصر الملكي ولا تعطيه شيئاً، ومن ثم اتسمت الحياة الفنية بلامركزية في السياسة والمجتمع والاقتصاد، واتسمت اللامركزية الفنية بسمتين مميزيتين أولاهما هي تأثرها كماً وكيفاً بالجوانب الأخرى سواء كانت اقتصادية أو دينية أو اجتماعية وثانيهما هو تميز كل إقليم بخط فني خاص أو بمدرسة فنية خاصة، وأصبح الفن يخدم الأقاليم أكثر مما يخدم العاصمة، وظل أهله تنقصهم المهارة، وروح الإبداع فترات طويلة، واستمر إنتاجهم يتسم بالطابع المحلي تارة، والطابع الريفي تارة أخرى(١).

عكست الأوضاع السياسية المضطربة على التماثيل الضخمة التي أقامها الفراعنة والتي كانت وسيلة من الوسائل المظهرية لاستهداف هؤلاء الفراعنة من إقامة القوة الملكية وشدة بأسها وانعكست الأوضاع السياسية المضطربة عليها، فلم يترك إلا تماثيل صغيرة من الحجر الجيرى، ونحتت أغلب تماثيلهم من الخشب لرخصه وسهولة نحته، واتصفت تماثيلهم بالخشونة والميل إلى الاستطالة والنحافة(٢).

كان حكم ملوك الأسرة الثانية عشرة للبلاد أشبه بنوع من الكفاح ضد الصعوبات والأخطار التى كانت تحدق بالملكية نفسها في الداخل سواء من ناحية أمراء الإقطاع الأقوياء أم من ناحية إخوان الملك نفسه، كما كانت تهدد البلاد أخطار من الخارج والدليل على ذلك تماثيل على شكل أبو الهول للملك أمنمحات، ولعل وجود معرفة الأسد في هذه التماثيل التى أقيمت على حدود مصر الشرقية تؤكد الغرض الذي استهدفه ملوك الأسرة الثانية عشرة من إقامة التماثيل الضخمة لإرهاب أعدائهم، فبينما صور فنان الدولة القديمة

---

(١)حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص ٢٩٣، ٢٩٧.

(٢)عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص ٣٩٨- ٣٩٩.

ملكه كما رآه من الواقع فإن فنان الدولة الوسطى قد صور الواقع أيضاً فجاء تمثيله لملوك آدميين وليسوا آلهة، وفهم العواطف الإنسانية بكل ما فيها من سرور وحزن، بل إنه شكل وجوههم بالصورة التي توضح الملامح الحادة للملوك التي أرهقتها مشاكل الحياة بكل ما فيها من كفاح وجهاد لتأمين الدولة ورخائها، ومن أمثلة ذلك هناك رأس موجودة في متحف "جامعة كمبريدج" "للملك سنوسرت الثالث" وهى مصنوعة من الجرانيت الأسود، وملامح وجهه من أهم القطع الفنية، حيث نجد في ملامح هذا التمثال ما ينجم على قوة الإرادة، كما تدل على بعض مشاعر الأسى والحزن التى ترتسم على عيني التمثال وخاصة تلك الجيوب الواضحة التى تقع أسفل العينيين والتي تدل على أن صاحبها لم يكن يتمتع بحياة الرخاء والهدوء، وكذلك الفم والتصاق الشفة العليا بالشفة السفلى، والخط العميق الذي يرتسم على الذقن مما يدل على نفس الأوضاع التى كان يتعايش معها فنان العصر (شكل ١٨-١٩).

ظهرت على وجوه تماثيل ملوك الأسرة الحادية عشرة التعبيرات الخشنة في تماثيل ملوك الأسرة الحادية عشرة، كما كما تمثال الفرعون "منتوحتب- نب حتب رع" مما يدل على أن الأخطار الداخلية في تماثيل الملوك وتمثال الفرعون سنوسرت الأول ويرتسم على وجهه رغم صغر حجمه تعبير القوة والصرامة والقسوة، حتى وجه تماثيل الملكات كما في وجه الملكة نفرت زوجة الملك سنوسرت الثانى متضخماً وقوياً تسوده مسحة من الخشونة والغلظة، كأنما هو وجه رجل[١]. (شكل ٢٠-٢١)

كما قام فنانون العمارنة بالتحرر الجمالى في عصر الملك إخناتون عن طريق المبالغة في أعمال الروحانية في رسم الملامح وإنما عن طريق واقعية فريدة تتلاءم الذوق

---

(١) محمد على سعد الله، المرجع السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧؛

- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص ٣٩٨- ٣٩٩.

لثورة إخناتون، فالجسم الإنساني المثاليث الذي اختارته الملكية هو جسم الفرعون ذو البطن المنتفخة والصدر الفارغ والرأس النحيلة، والجمجمة المستطيلة، غير أن هذه الحركة الفنية الجديدة اتجهت في بداية ظهورها في طيبة اتجاهاً متطرفاً فمثلت تشويهات إخناتون وبناته بشيء من المالغة فهى أقرب إلى الرسوم الكاريكاتورية، فيلاحظ في رؤوس تماثيل بنات إخناتون استطالة شديدة في الرأس وربما كان ذلك تطرفاً فنياً في التعبير عن الاحتجاج على العقائد والتقاليد الفنية، وبعد استقرار الدعوة الجديدة لا تلبث أن نجدها تتخذ أشكالاً معتدلة، فخلت تماثيل أخناتون وأفراد أسرته في تلك العمارنة من العيوب المنفردة وأصبحت السيمترية في الفن أكثر خفاء وظهر المنظور الزائف في الفن، وانفتح المجال أمام التعبير عن العواطف، فانطلقت دون قيد بعد أن تداعت الحدود الصارمة، والخروج عن القواعد المألوفة كان من سمات فن العمارنة فقد امتد اثره حتى عصر الرعامسة فمثل الفرعون رعمسيس الثانى زاحفاً على ركبتيه يكاد ينبطح على وجهه وهو على قاعدة مربعة نقش اسمه عليها وهذا الوضع أحد الأمثلة التى خضع فيها الفن في عصر الرعامسة لتأثير لا إدارى لفن العمارنة (شكل ٢٢-٢٣) [١].

بيد أن المغزى السياسي للتماثيل الضخمة والمفرطة في الضخامة والتي تميز بها عصر رعمسيس الثانى، والتى ظهرت أيضاً في عصر أمنحتب الثالث فإنه يدل على ضعف هيبة الملوك إدارياً في تلك الفترة.

وبالنسبة لعصر الانتقال الثالث فقد انحط شأن الفنون نتيجة لتدهور القيم الروحية، وانتشار البؤس، وعجز الإدارة، وإن كانت النماذج التي ابتدعت في عهد الملوك الكهنة عاشت في الواقع حتى الفتح الفارسي، وفى تلك القطع ذات الأوراق الصارخة يميل المرء

---

(١)جان يويوت، مصر الفرعونية المرجع السابق، ص ١٥٤؛

- نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ٢٩٥.

إلى تبين بصمات ذوق فاسد وهو من سمات عصر ابتذال معنوى وخلقي، وأصاب فن النقش والتصوير الانحطاط والتدهور في الجنوب، وهو ما يتعلق باللوحات المنحوتة والمصورة، وكان المتوفي يظهر فيها مرسوماً بشكل غير متقن في وضع الجلوس أمام مائدة مكتظة بكل أنواع التقدمات، ومن ذلك اللوحات التذكارية التى وجدت في طيبة والتي دلت في أغلب الأحايين على شيء من الركاكة، فهي تبدو متهالكة غير ثابتة، والتفاصيل التشريحية للجسم لا وجود لها، وتدل على انعدام التناسق والتوازن، ومع وجود عجز في الجهاز الإداري، وضعف الدولة سياسياً فلم يتجاوز النشاط المعماري لكبار الكهنة إجراء بعض الترميمات، والتجديدات، بينما يبدو نشاط سادة تانيس محصوراً في منف[1].

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص ٤١١- ٤١٣.

obeikandl.com